الحركات والتيارات الإسلامية في الوطن العربي والعالم*

حضرات السادة الكرام من الإخوة الضيوف وأصحاب المراتب العسكرية المختلفة:

أشكركم على حضوركم، فأنتم عدة الوطن ودرعها وسياجها الحصين، ومطمح أمتكم في هذه الدولة الصامدة، والقوية بعزتها ووحدتها، ويعد:

فهذه محاضرة أُبيِّنُ فيها فلسفة أصحاب هذه الحركات وآثارها، فمنها المعتدل ومنها الهدام والمتهور.

أهم أسباب ظهور هذه الحركات

١- الحكم العثماني في عهوده الأخيرة، الذي كان من أسوأ آثاره انتشار الجهل، وركود الحركة العلمية، وإهمال العلوم الطبيعية والصناعات المتطورة.

---

* في كلية الدفاع الوطني (الأكاديمية العسكرية العليا)، بتاريخ يوم السبت ٨/١٢/٢٠٠٧م.

obeikandl.com

٢- الاستعمار الأثيم بما قام به من إذلال شعوبنا وبلادنا العربية والإسلامية، ونهب ثرواتنا، ومعاداة تراثنا.

٣- تهديم صرح الوحدة الإسلامية والعربية وتفريق كلمة الأمة وشرذمتها وتجزئة البلاد، وظهور الدول الإقليمية المجزأة، وتطبيق القوانين الوضعية، وفصل الدين عن الدولة.

وأدى ذلك إلى ظهور حركات أهمها أربع: حركات وأحزاب إصلاحية، وحركات هدامة، وبروز زعماء في الفكر، ووجود حركات وتيارات سياسية إسلامية.

أولاً- ظهور حركات الإصلاح الكبرى (الوهابية، والسنوسية، والمهدية) في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

١- الدعوة الوهابية

أسسها في شبه الجزيرة العربية الشيخ محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٧٩٢م الحنبلي المتأثر بآراء ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وتتلخص آراؤه في أربعة أمور:

الأول - الرجوع بالإسلام إلى ما كان عليه في الصدر الأول.

الثاني - تخليص التوحيد مما شابَهُ من شرك (في رأيه).

الثالث - إنكار التوسل بالأولياء والصالحين.

الرابع - طرح البدع والخرافات.

وكان أهم آثار الوهابية عملين كبيرين: فتح باب الاجتهاد في الفروع الفقهية بعد إغلاقه منذ سقوط بغداد ٦٥٦هـ/ ١٤٥٣م، وضرورة القيام بواجب الجهاد وإحياء هذه الفريضة.

٢- الدعوة السنوسية

أسسها في ليبية الشيخ محمد بن علي السنوسي المتوفى سنة ١٨٥٩م، والتي انتقلت تعاليمها إلى الجزائر بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس وحركته الإصلاحية، ومحافظته على عروبة الجزائر، وطرد المستعمر الفرنسي وهزيمة قوات الأطلسي واستقلال الجزائر وانتشار كتاتيب حفظ القرآن وتعليمه.

وكانت خطة إصلاحه متمثلة في خمسة أسس:

١- العودة إلى يسر الدين الإسلامي.

٢- مقاومة حركات التبشير المسيحي.

٣- أن تشمل الحركة الإصلاحية جميع بلاد الإسلام.

٤- ينبغي أن تكون هذه الحركة سياسية وفكرية معاً.

٥- الزهد والخمول والاستجداء من آثار التصوف.

وآثارها أربعة:

١- النهضة الشاملة.

٢- معاداة الاستعمار.

٣- نشر دعوة الإسلام في كل مكان.

٤- تخريج العلماء والأدباء.

٣- الدعوة المهدية

أسسها في السودان السيد محمد أحمد بن عبد الله المتوفى سنة ١٨٨٥م، تتلخص دعوته بالرجوع بالإسلام إلى بساطته الأولى، وركز دعامتين.

الأولى - أن تعدد المذاهب الأربعة وزَّع المسلمين إلى جماعات.

الثانية - ضرورة العمل بالدين وأداء فرائضه وواجباته.

obeikandl.com

ثانياً - الحركات الهدامة

وتتمثل في القرن التاسع عشر في ثلاث حركات لخدمة الاستعمار:

١- حركة السيد أحمد خان من الباكستان الذي نادى بالمذهب الطبيعي وإنكار وجود الله.

٢- المذهب القادياني ثم الأحمدية في الهند باسم الإصلاح والتقدمية. على يد غلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة، وكان الهدف ترسيخ وجود بريطانية في الهند.

٣- البابية أو البهائية في إيران، بزعامة بهاء الله الذي ادعى تجسيد الإله فيه، وخلفه ابنه عبد البهاء بهائي المتوفى سنة ١٩٢١م، وانتشرت دعوته في القرن العشرين تحت عنوان «الدعوة إلى الإنسانية»، وولاؤه لأمريكية.

ثالثاً - ظهور زعماء الفكر الإسلامي الحديث في القرن التاسع عشر والقرن العشرين

وهم الشيخ جمال الدين الأفغاني المقاوم للاستعمار البريطاني، والشيخ محمد عبده ومدرسته السلفية، والفيلسوف الشاعر محمد إقبال في الهند، ومجدِّد المفاهيم الدينية في بداية القرن العشرين.

أما الشيخ الأفغاني المتوفى في إستانبول ١٨٩٧ م، فتتلخص أفكاره في ضرورة تحرير الوطن الإسلامي من الاستعمار الغربي، ومحاربة الاتجاه الاستعماري في التفكير، مع اتخاذ وسائل تحقيق هذا الهدف..

برز نشاطه في ناحيتين:

الأولى - الرد على الدهريين (الماديين) في الهند، وهم جماعة السيد أحمد خان الذي نادى بأن لا وجود إلا للطبيعة العمياء، وليس لهذا

الكون إله حكيم، ردّ عليهم الأفغاني بثلاثة أمور: بيان ضرورة الدين للمجتمع، وأضرار المذهب الطبيعي على المجتمع، ومزية الإسلام كعقيدة ودين على الأديان الأخرى.

الثانية - محاربة الاستعمار البريطاني في مصر والهند، من خلال مجلة (العروة الوثقى) التي أسسها في سويسرة. ويتبلور جوهر حركة الأفغاني في الدعوة إلى القرآن، وبعث القرآن، وبعث تعاليمه الصحيحة بين الناس.

وأما الشيخ محمد عبده المتوفى سنة **١٩٠٥** م فكان هدفه الدعوة إلى أمرين:

الأول - تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة السلف.

الثاني - إصلاح اللغة العربية.

تميز نشاطه في النواحي الوطنية (الأخذ بنظام الشورى) والاجتماعية (تقوية الروح الاجتماعية وبيان عيوب المجتمع المصري والإسلامي) والاعتقادية (تحرير المسلم من عقيدة الجبرية وإعلان تطابق العقل مع الدين) والتربوية (محاربة الحزبية المذهبية، ومحاربة سلطان الكتاب الموجه ونقده، وإصلاح الأزهر، وإحياء الكتب القديمة).

وأما الفيلسوف محمد إقبال المتوفى سنة **١٩٣٨**م فكانت بواعث فلسفته الاعتقادية في بيان تخلف المسلمين ستة دوافع: انتشار الجهل، وفساد التوحيد، والتواكل، والكسل، والخمول، واليأس، والرهبنة، والتقليد الأعمى.

وعناصر فكرته الإصلاحية تتجلى في تغيير مفهوم عالم الطبيعة أو الواقع (فهو مجال لحركة الإنسان وسعيه ومعرفته) وشرح بعض مبادئ الإسلام كختم الرسالة، وإقرار التوحيد، والدعوة إلى الاجتهاد، فهذه عناصر تجديد وحيوية ونهضة.

رابعاً - ظهور الحركات السياسية في القرن العشرين

وأهمها أربع حركات:

الأولى - حزب التحرير الإسلامي، أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني في الأردن، وركز على أربعة أمور:

١- إقامة دولة إسلامية دون العناية بشؤون الدين، لأن هذا من مهام الدولة الإسلامية بعد قيامها.

٢- الطريق لإقامة دولة الإسلام بإعادة الثقة بأفكار الإسلام من ناحيتين: العمل الثقافي والعمل السياسي.

٣- ينفرد هذا الحزب عن باقي الجماعات الإسلامية بوضوح تصوراته السياسية، وتوجيه كل طاقاته في العمل السياسي من خلال وضع (الدستور للدولة الإسلامية) القائم على إعادة الخلافة الإسلامية ومقرها في إستانبول، من طريق قيام مجلس الشورى، ومنح المرأة حقوقها الاجتماعية والسياسية.

٤- قضية «الدولة» هي المحور المركزي لعمله، وإهمال الجوانب الأخلاقية والروحية والسلوكية، وهو في هذا يضمر عداء ثابتاً لكل التيارات الوطنية والقومية والإسلامية في الوطن العربي، مما جعله حزباً معزولاً عن المجتمع.

ويلاحظ: أن من حسنات رجال الأمن في سورية أنهم جمَّدوا في بلادنا نشاط حزب التحرير، والبهائية، والقاديانية، والنشاط السلفي المتطرف.

الثانية - حركة الإخوان المسلمين: وأقطابه الشيخ حسن البنا، وسعيد حوى، وسيد قطب، والمؤسس الأصلي هو حسن البنا (**١٩٢٨ - ١٩٤٩**م) الذي كان يتمتع بفكر حركي وتنظيمي متدفق، وكان يرى أن النظام الإسلامي يقوم على ثلاث دعائم:

(١) مسؤولية الحاكم. (٢) وحدة الأمة. (٣) احترام إرادة الأمة.

وهذا يتفق مع النظام النيابي، ولا يرى الشيخ البنا تعارضاً بين الدساتير الوضعية والإسلام إذا كانت تلك الدساتير تعترف بسيادة الشريعة الإسلامية، وقصور العقل البشري.

إلا أن حزب التحرير كان يرى أن التسليم بالحاكمية الإلهية، وقصور العقل البشري يؤديان إلى أن كل صور الدساتير الحديثة باطلة.

وأما سعيد حوى في سورية فكان يُعنى بالدرجة الأولى بالفكر الحركي للإخوان.

وأما سيد قطب فكان يرى ضرورة القضاء على حاكمية البشر، من أجل بقاء حاكمية الله تعالى، فلا تلاقي بين الإسلام والجاهلية، والإيمان والكفر، والحق والباطل، والخير والشر، والله والطاغوت (كل ما عبد من غير الله تعالى).

لكن التصور السائد في الوسط العربي هو فكر الإخوان المسلمين كما قرره الشيخ حسن البنا يتميز بما يأتي:

١- الإخوان هم في الواقع الحركة الأم لكل التنظيمات الأخرى ذات الطبيعة الراديكالية (التحررية).

٢- الإخوان معتدلون إذا قيسوا بالتنظيمات الأخرى كالجهاد، وجماعة التكفير والهجرة، وجماعة جهيمان وعددهم بعدد أصحاب بدر(٣١٣) الذين هاجموا واحتلوا الحرم المكي مدة (١٥) يوماً ثم قتلوا جميعاً عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

٣- يحرص الإخوان على تحقيق الحد الأدنى من التوافق مع النظام السياسي القائم.

الحركة الثالثة - تنظيم الجهاد - نظرية الاقتحام، وزعيمه محمد عبد السلام فرج من مصر، فهو يصرّ على تفعيل «الجهاد - الفريضة الغائبة» فهو الإطار الفكري والمرجعي للتنظيم، ومصدر الفساد يتركز في النظام السياسي الحاكم، وليس في المجتمع.

ولا يتردد هذا التنظيم في تكفير النظام السياسي الذي يعطِّل الإسلام ولا يتحاكم إليه، وهؤلاء يرون أن الإخوان المسلمين يعطون دولة (الكفر) شرعية في إطار التعاون معها.

ومن أتباع هذا التنظيم (جماعة التكفير والهجرة) في مصر، فهم يرون أن المجتمع كله حكاماً ومحكومين هو مجتمع جاهلي، لا ينفع معه الترميم، بل لابد من القضاء عليه واجتثاثه من أساسه بعد إعداد العدة لذلك، ولا يكون إلا من خلال (الهجرة ثم الفتح) بعد تكوين المجتمع النواة. وقد تراجع أكثر أتباعه عن منهجهم بفضل إقناع رجال الأزهر.

الحركة الرابعة - حزب الدعوة: المرشد الروحي للحزب السيد محمد باقر الصدر، تأسس قبل الثورة الإيرانية بسنتين أي عام **١٩٧٧**م. ثم جاءت الثورة الإيرانية بقيادة الإمام الخميني سنة **١٩٧٩** فأنعشت المنظمات السياسية ذات الطابع الديني في العراق، وبالأخص الشيعة، ومن أهمها حزب الدعوة وحزب العمل الإسلامي بقيادة السيد محمد تقي المدرسي، وحركة الجماهير المسلمة، وجماعة العلماء المجاهدين.

كان باقر الصدر يرى أن مهمة الدولة «إيجاد موازين تحدد الحق وتجسد العدل».

وينادي الشيرازي الأب الروحي لحركة الجماهير المسلمة بقوله: بوسع المسلمين أن يشكلوا القوة العالمية الرابعة التي تستطيع أن تنافس الأقطاب الدوليين.

وحزب الدعوة لا يلتزم بالمرجعية على عكس الخميني، ويعارض مفهوم «ولاية الفقيه» الذي تبناه الخميني، لأن هذا المبدأ يمنح الفقهاء رسم الدستور، وتحديد ماهية الشريعة، وحق الفيتو على كامل الحياة السياسية والاجتماعية.

ويرفض حزب الدعوة وجميع الأحزاب الشيعية الإسلامية في العراق وإيران القومية العربية والإيرانية والكردية.

الخلاصة

- إن الحركات الإسلامية السياسية أخفقت في تحقيق مآربها وغاياتها لأسباب كثيرة، ما عدا ثورة الإمام الخميني مفجر الثورة الإيرانية، وباني جمهورية إيران الإسلامية من عام ١٩٧٩م وإلى يومنا هذا. وكان من إفرازات هذه الثورة وجود «حزب الله» بقيادة السيد حسن نصر الله في لبنان، بالتعاون والتنسيق والتخطيط مع سورية الدولة الواعية، والذي انتصر على الجيش الإسرائيلي الذي يدعي أنه القوة التي لا تقهر.
- أغلب الحركات الإسلامية اليوم هي أقرب إلى الاعتدال منه إلى التشدد، وإلى المرونة منه إلى التصلب، وإلى الواقعية منه إلى الثورية.
- يرافق ذلك دعوات كثيرة نحو ترشيد الحركة الإسلامية والصحوة الإسلامية باتجاه الاعتدال والوسطية، وهذا يبشر بمستقبل أفضل ينتظر الحركة الإسلامية.

وأمل الإسلاميين هو تطبيق الشريعة الإسلامية شريعة الحق والعدل والمساواة والحرية والشورى.

obeikandl.com

إن خطورة الظروف الحالية التي بلغت أوج ذراها تتطلب الوحدة والاندماج والعمل السياسي والاقتصادي الموحد، لتجاوز مرحلة الضعف، وتجاوز مرحلة الفكر التكفيري، وعدم التورط في الإرهاب، ودحر مخططات أمريكة والغرب.

- إن المنظمات كالقاعدة الحالية صارت منظمات إرهابية في داخل بلاد العرب والإسلام، ولم تقم بنحو واضح بتوجيه طاقاتها ضد العدو الصهيوني مركز الخطر الأكبر في الساحة العربية والإسلامية.

obeikandl.com